(٨٥)

هدايا المقوقس
ومؤامرة بنى غطفان

* ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾

[سورة البقرة: آية: ١٩٥]

* ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) ﴾

[سورة البقرة: آية: ١٩٦]

* * *

«مع أنفاس الصباح.. تصحو المدينة على موفدٍ بأمسٍ قد مضت على خروجه أسابيع، ولكنه عائدٌ بموكب لم يعد بمثله أحد ممن أرسلهم رسول الله عليه السلام إلى الملوك والأمراء.. يخرج أهل المدينة فيشهدون حاطب بن أبى بلتعة فى قافلة صغيرة عائدًا بها من سفارته إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر.. القافلة محملة بهدايا مصرية، أثوابًا لينة من نسج مصر، وكميات من العود والند والمسك، وفى القافلة بغلة شهباء مسرجـة، وهودج يقود بعيره خصىّ، وتطل من ثناياه جاريتان صبوحتان.. حاطب يمضى بمن معه قاصدًا المسجد النبوى، يريد أن يلقى رسول الله..».

«أمام المسجد النبوى، حاطب ينيخ الـرواحل، ويبادر إلى الداخل ميمّمًا شطر الرحمة المهداة ﷺ..لا يكاد يلقى بتحية الإسلام حتى يدفع كتابا إلى رسول الله.. يتناوله عليه السلام ويعطيه إلى أحـد شبـان الأنصار..».

الأنصارى : (وقد فض الكتاب).. إلى محمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط.. أما بعد، فقـد قرأت كتابك وفهمت من ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًّا قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام.. وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك..

حاطب بن أبى بلتعة: (مُبادرًا) قد أحسن الرجل استقبالى، وأكرم وفادتى.. دار بينه وبينى حديث أوصى أن نكتمه عما كان يحبه لولا خشيته أن لا يطاوعه قومه.. أهدى إليك مارية وأختها سيرين من أقباط مصر، وبعث معى ألف مثقال ذهبًا، وعشرين ثوبًا لينًا من نسج مصر، وبغلة شهباء، وبعضًا من العود والند والمسك..

«النبى - عليه السلام - تقر عينه بما أبداه المقوقس من روح طيبة.. يشير على الصحابة بعرض الإسلام على الجاريتين..».

«النبى - عليه السلام - يأمر بأن تنزل مارية بمنزل لحارثة بن النعمان، بقريب من المسجد، وبأن يضم حسان بن ثابت أختها سيرين إلى بيته.. بينما تموج بين المسلمين حكايات حاطب ابن أبى بلتعة عن مصر وما شاهده فيها وما لقيه من حسن وفادة المقوقس وإكرامه وبطارقته له..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى - عليه السلام - فى صحابته من الأنصار والمهاجرين.. يدخل عليهم حُسيل بن نويرة الأشجعى.. النبى - عليه السلام - يرحب به، فقد كان دليله فى خيبر، ويسأله..».

النبى : (لحُسيل) من أين يا حُسيل؟

حُسيل بن نويرة : قدمت من «الجناب» (من أرض غطفان من بلاد فزارة)

النبى : ما وراءك؟

حُسيل : تركت جَمْعًا من غطفان بالجناب، قد بعث إليهم عُيينة ابن حصن الفزارى، يحرضهم..

صحابى : (يردد مستنكرًا) يحرضهم؟!

حُسيل : أرسل يقول لهم: إمّا أن تسيروا إلينا وإمّا نسير إليكم، فأرسلوا إليه أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعًا.. (يستأنف) هم يريدونك يا رسول الله أو يريدون بعض أطراف المدينة!

«النبى – عليه السلام – يدعو إليه أبا بكر وعمر وكبار الصحابة، يتشاور وإياهم فيما يردون به غائلة هذا الشر الذى يجمع له عيينة بن حصن ومن معه..».

الصحابة : نبعث إليهم بشير بن سعد!

صحابى : إنه ميمون النقيبة..

«النبى – عليه السلام – يدعو إليه ابن سعد، فيعهد إليه بالخروج لفض تجمعات غطفان ومن شايعهم..».

* * *

«المدينة بعد يوم، وقد عقد النبى اللواء لبشير ابن سعد واجتمع معه نحو ثلاثمائة مسلم.. لبوا إشارة النبى – عليه السلام – أن يخرجوا معه، معهم حُسيل بن نويرة، قد خرج دليلاً لهم، فهو ملم بخبايا الأرض التى يجمع فيها عيينة بن

حصن حشوده لمهاجمة أطراف المدينة.. تخرج السرية محملة بنصيحة رسول الله أن يسيروا فى الليل متسترين بظلامه، وأن يكمنوا نهارًا حتى لايطير خبرهم إلى عيينة ومن احتشدوا معه!!».

* * *

«على مشارف الجناب، وقد نزل المسلمون «بسلاح» (أرض بأسفل خيبر)، ودنوا من عسكر القوم.

حُسيل بن نويرة : (مشيرًا) بينكم وبين القوم ثلثا نهار أو نصفه..

بشير بن سعد : فما ترى يا حُسيل؟

حُسيل : إن أحببتم كمنتم فى موضعكم وخرجت طليعة لكم حتى آتيكم بالخبر، وإن أحببتم سرنا جميعا..

بشير : بل نقدمك فتأتى لنا بخبرهم.

«ينطلق حُسيل بن نويرة إلى غايته، والمسلمون يرقبونه حتى اختفى وراء الأفق..».

* * *

«بعد ساعة، وقد عاد حُسيل بخبر القوم، أين تجمعوا وكمنوا، ومواضع سَرْحهم..».

حُسيل بن نويرة : (وهو يشير إلى طلائع السرح) هذه أوائل سرحهم، فهل لكم أن تغيروا عليهم؟

بعض المسلمين : إن أغرنا الآن حَذِرَنا الرجالُ والعطن (مرابض الإبل والغنم)!

آخرون : (معارضين) بل نغنم ما ظهر لنا ثم نطلب القوم.

«وقد مالت الأكثرية إلى الرأى الثانى.. يشن المسلمون غارة مفاجئة يصيبون بها أطراف القوم والنعم، بينما يؤثر جمع الغطفانيين المنهزمين أن يلحقوا بعلياء بلادهم طلبًا للسلامة.. يطاردهم بشير ومن معه.. فيشتتهم أشتاتًا، ويصيب المسلمون فى حملتهم أحد عيون عيينة ويأسرون رجلين من رجاله.. بينما يطير عيينة بمن فر معهم إلى أطراف البقاع المجاورة..».

* * *

«بقريب من «العلياء» التى فر إليها عيينة ابن حصن، يلقاه حليفه: الحارث بن عوف المرى وهو منهزم يعدو بفرسه مرتاعًا لا يلوى على شىء..».

الحارث بن عوف : ما لى أراك تفر فزعًا؟!

عيينة بن حصن : (وهو يركض بفرسه) ورائى ما لا أقدر! الطلب خلفى! أصحاب محمد!

الحارث : (وقد تمكن من استيقافه وتهدئته) أما لك بعد أن تبصر ما أنت عليه؟

عيينة : إن محمدًا قد وطئ البلاد!

«الحارث وعيينة ينتحيان فى موضع يرقبان..».

الحارث : (بعد فترة وقد أخذت الشمس فى الزوال) – ما أرى أحدًا!!

عيينة : (وقد ثاب إلى بعض رشده) هو ذاك، إنى خفت الإسار (الوقوع فى الأسر)! وقد سبق منى إزاء محمد ما تعلم فى غير موطن!

الحارث : أيها الرجل، قد رأيت ورأينا معك أمرًا بيّنًا فى بنى النضير، ويوم الخندق وقريظة، وقبل ذلك قينقاع، وفى خيبر.. (مستأنفًا) إنهم كانوا أعز يهود الحجاز كله، يقرون لهم بالشجاعة والسخاء، وهم أهل حصون منيعة وأهل نخل، والله إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم.

عيينة : (مستسلمًا) هو ذاك.

الحارث : لقد سار حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان فامتنعوا بهم من الناس، ثم قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة وكيف أديل عليهم!

عيينة : هو والله ذاك، ولكن نفسى لا تقرنى!

الحارث : فادخل مع محمد.

عيينة : (متحفظًا) أصير تابعًا!

الحارث : لم؟!

عيينة : لقد سبق قوم إليه، فهم يزرون بمن جاء بعدهم يقولون: شهدنا بدرًا وغيرها!

الحارث : (مراجعًا) وإنما هو على ما ترى، فلو تقدمنا إليه لكنا من علية أصحابه، قد بقى قومه بعدهم منه فى موادعة وهو موقع بهم وقعةً ما وطئ له الأمر.

عيينة : أرى والله!

* * *

«بعد يوم وقد تواعدا على الهجرة والقدوم إلى النبى ﷺ يمر بهما فَرّوة بن هُبيرة القشيرى.. يمضى بينهم الحديث حتى يخبراه بما أزمعا عليه..».

فروة بن هبيرة : (مراجعًا) لو استأنيتم حتى تنظروا ما يصنع قومه فى هذه المدة (الموادعة) التى هم فيها!

الحارث وعيينة : وأنى لنا ذلك؟

فروة : (مغريًا) آتيكم بخبرهم!

الحارث وعيينة : فذاك.

* * *

«بعد أيام، بمكة – منتدى قريش بظاهر الكعبة وقد لحق بهم فروة بن هبيرة بعد أن تسقط الأخبار واطمأن إلى أن قريشًا لا تزال ناصبة العداء لمحمد على أشد ما يكون.. تمضى بهم الأحاديث فيما كان من أمر «خيبر».. يتحسر القرشيون على النصر الذى أحرزه النبى فيها!!..».

فروة بين هبيرة : (يشجعهم محرضًا) قد تركت رؤساء الضاحية على ما أنتم عليه من العداوة لمحمد.

القرشيون : فما الرأى؟ فأنت سيد أهل الوبر؟

فروة : نقضى هذه المدة (الموادعة) التى بينكم وبينه ونستجلب العرب، ثم نغزوه فى عقر داره.

«القرشيون يستحسنون ما سمعوه..»

* * *

«بعد أيام قد أقامها فروة بمكة يتنقل فيها بين منتدياتها محرضًا ومشجعًا على استجلاب العرب وتحريضهم لقتال محمد.. تطير أنباؤه إلى نوفل بن معاوية الديلى، فينزل إليه من باديته ليلم ويحيط بما يقوله فروة لقريش».

نوفل بن معاوية : (وقد سمع أطراف ما يقال) إذًا لأجد عندكم شيئًا! قدمت الآن لمقدمك حيث بلغنى.. (يستأنف) لنا عدو قريب داره، وهم مصدر نصح لمحمد.. لا يغيبون عليه حرفًا من أمورنا!..

فروة : من هم؟

نوفل : خزاعة!

فروة : قبحت خزاعة، قعدت بها يمينها!

نوفل : استنصرْ قريشًا أن يعينونا عليهم.

فروة : فأنا أكفيكم.

* * *

«منتدى قريش بظاهر الكعبة - فروة بن هبيرة يجلس إلى زعماء قريش: صفوان بن أمية، وعبدالله بن أبى ربيعة، وسهيل بن عمرو..».

فروة بن هبيرة : (مستثيرًا) ألا ترون ماذا نزل بكم؟!.. (لائمًا) إنكم رضيتم أن تدافعوا محمدًا بالراح!

القرشيون : فماذا نصنع؟

فروة : تعينون نوفل بن معاوية على عدوه وعدوكم.

القرشيون : إذًا يغزونا محمد فى ما لا قبل لنا به، فيوطئنا غَلَبةً، وننزل على حكمه، ونحن الآن فى مدّة (هدنة) وعلى ديننا!

«ينصرف فروة كسيرًا محبطا.. يقصد إلى

نوفل بن معاوية الذى كان ينتظر ماذا سوف تقول قريش.. يلقاه نوفل وقد لمح الخذلان على ملامحه..».

نوفل بن معاوية : (قلقًا) ما وراءك؟!

فروة : ليس عند القوم شىء!

«يتبادلان النظر فى وجوم!»

نوفل : ماذا سوف تقول لعيينة بن حصن والحارث بن عوف؟!

فروة : سأقول لهم ما رأيت من قريش.. أن قاربوا الرجل وتدبروا الأمر.. وما أراهما إلاّ مقدمين رجلا ومؤخرين أخرى!!

* * *

«المدينة، المسجد النبوى، وقد عاد بشير بن سعد ومن معه.. فى معيتهم الأسيران من بنى غطفان.. المسلمون يستقبلون العائدين بالأفراح والتكبيرات، تتزايد المسرات وقد علموا أن الله تعالى قد شرح صدر الأسيرين للإسلام..».

* * *

«المدينة، وقد هل هلال ذى القعدة فى العام السابع للهجرة، وانصرم عام على الحديبية والصلح الذى أبرم فيها وتصاعدت مع حلوله أشواق المسلمين إلى الاعتمار إلى البيت العتيق – النبى عليه السلام ينادى فى أصحابه والمسلمين أن يتجهزوا للعمرة، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية.. نداء الرسول يلتقى بقلوب قد ملأها الحنين إلى البيت الحرام، وغلبتها أشواقها حتى لم تعد تنتظر أمرًا ولا إشارة بالتجهز للعمرة.. لم

يبق أحد ممن شهد الحديبية إلاّ وسارع إلى تلبية النداء.. لم يتخلف إلاّ من مات أو غنم الشهادة فى خيبر وما حولها.. يشعر الرحمة المهداة عليه السلام بما يعانيه ويكابده فقراء المسلمين فى تلبية أشواقهم، فينادى فى الموسرين والقادرين أن ينفقوا فى سبيل الله، وأن يتصدقوا، وألا يكفوا أيديهم فيهلكوا.. يشفق غير القادرين من هذه الهلكة، فيبتهجون بإشفاقهم ليسألوا الرحمة المهداة..».

بعض المسلمين : يا رسول الله، بم نتصدق وأحدنا لا يجد شيئًا؟!

النبى : (حانيًا ومشجعًا) بما كان.. ولو بشق تمرة.. ولو بمشقص (نصل السهم) يحمل به أحدكم فى سبيل الله..

«النبى - عليه السلام - فى انشغاله بحث المسلمين على التجهز والخروج للعمرة فى الشهر الحرام، والإنفاق فى سبيل الله، والتصدق بكل ما هو مستطاع لإعانة غير القادر على اللحاق بالرحلة المباركة إلى البيت الحرام.. يتغشاه الوحى، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة: الآيات: ١٩٤ - ١٩٥]

(يرتفع الوحى)

* * *

«تتلاحق أسئلة المسلمين عن الحج والعمرة..
لا يدعون صغيرة ولا كبيرة إلاّ عنها يسألون..
يشق الصفوف إلى رسول الله - رجل متضمخ
بالزعفران عليه جبة يسأل».

الرجل : كيف تأمرنى يا رسول الله فى عمرتى؟

«تتوالى الأسئلة، بينما القادمون من اليمن،
لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون، ولا يجدون
بأسًا أن يسألوا الناس إذا نزلوا مكة.. ويتساءل
آخرون عن أسواق مكة فى الجاهلية: عكاظ
ومجنة وذى المجاز.. هل يأثم المعتمرون أو
الحجيج إذا تاجروا بهذه الأسواق.. ماهى حدود
المباح وغير المباح..».

«النبى - عليه السلام - يتغشاه الوحى،
فيوحى إليه الروح الأمين من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن
كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ
أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ
كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن
فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآيات: ١٩٦ - ٢٠٢]

(يرتفع الوحى)

«النبى - عليه السلام - ينادى فى أصحابه..»

النبى : أين السائل عن العمرة؟

«يتقدم إليه الرجل..»

النبى : (للرجل) ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعًا فى حجك فاصنعه فى عمرتك..

«النبى - عليه السلام - يتلو فى المسلمين ما تنزل عليه من الذكر الحكيم، ويبين ويبسط لهم ما غمض عليهم..».

* * *

«قافلة العمرة المباركة وقد تجمعت أمام وبخارج المسجد النبوى تتهيأ لبداية الرحلة المقدسة.. وقد أحرم النبى - عليه السلام - بباب المسجد وترك على المدينة صاحبه أبا رُهْم الغفارى، ووقف المسلمون متجهزين يسوقون هديهم إلى البيت الحرام.. وقد جعل ﷺ ناجية ابن جندب الأسلمى على هديه.. يسير به أمامه، يطلب المرعى فى الشجر حسبما تقوده المقادير، ومعه أربعة فتيان من أسلم.. يحرص عليه السلام أن يقلد هديه قبل الرحيل بيده، يلتف حوله المسلمون، ويقتدون به، ولا يكفون عن سؤاله عن الحج والعمرة.. تتحرك القافلة المقدسة تسابقها أشواقها إلى حيث تيمم فى هذا الشهر الحرام الذى أعلمهم الله بقرآنه المجيد أن الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، وأن الباغى هو البادئ بالاعتداء والعدوان.. قد خرجوا فى سلام يبتغون وجه الله، لا بغى منهم ولا عدوان.. فمن اعتدى عليهم رد اعتداءه بمثل ما اعتدى عليهم.. قد ردهم الكفار عن البيت الحرام فى العام المنصرم، فليكونوا إذن على حذر.. تتحرك القافلة المباركة وقد حملت السلاح والبيض والدروع والرماح، ومع الهدى والبدن مائة فرس عليها محمد بن مسلمة، وعلى السلاح ميمون النقيبة بشير بن سعد.. يتجه بعض المسلمين بسؤالهم إلى رسول الله ﷺ..».

السائلون : يا رسول الله، حملت السلاح، وقد شرطوا ألاّ ندخلها عليهم بسلاح إلاّ سلاح المسافر: السيوف فى القرب؟!

النبى : إنا لا ندخله عليهم الحرم، ولكن يكون قريبًا منا، فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح منا قريبًا..

«تبدأ مسيرة المسلمين بتلبية رسول الله.. يلبى ﷺ، ويلبى المسلمون معه، فتتصاعد تلبياتهم إلى عنان السماء.. تمضى القافلة فى سبيلها فتمر بذى الحليفة، وملل، وصخيرات اليمام، وفج الروحاء، والأبواء، والجحفة، والروضة، وعسفان، وكراع الغميم.. تسبقها أخبارها إلى مر الظهران بقرب مكة حيث وصلت طلائع الفرسان وعليها محمد بن مسلمة، يلقاه الركبان متسائلين وفيهم نفر من قريش..».

محمد بن مسلمة : (للسائلين) هذا رسول الله يصبح هذا المنزل غدًا إن شاء الله..

«القرشيون يطيرون فزعين إلى مكة، مستهولين ما رأوه من سلاح وفرسان، يخشون أن يداهمهم به عليه السلام بمكة!!».

* * *

«مكة، بظاهر الكعبة وقد اجتمعت قريش على صيحات القادمين بالنذير.. يتشاور القرشيون وهم فى اضطراب كبير، فيوفدون مكرز بن حفص فى نفر من قريش للقاء النبى - عليه السلام - قبل

أن يدخل عليهم مكة بما يصيح به القادمون من «مر الظهران»!!

* * *

«ببطن «يأجج» (واد قريب من مكة) – وقد وصل رسول الله ﷺ، وأخذ يتلاحق وصول الهدى والسلاح.. يسارع مكرز بن حفص بمن معه ينشدون النبى – عليه السلام – وهم فى كرب عظيم!.. يلحقون به عليه السلام وهو واقف فى نفر من أصحابه..».

مكرز بن حفص : (مبادرًا فى قلق) والله يا محمد ماعرفت بالغدر – صغيرًا ولا كبيرًا..

القرشيون : تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك!

مكرز : وقد شرطت لهم ألا تدخل إلاّ بسلاح المسافر: السيوف فى القُرُب!!

النبى : (فى هدوء وسكينة) إنى لا أدخل عليهم بسلاح!

مكرز : هو الذى تُعْرف به: البر والوفاء.

«يطير مكرز بن حفص ومن معه بالبشارة إلى قريش أن محمدًا لا يدخل مكة بسلاح..».

بعض المسلمين : (متسائلين وقد بلغهم أن قريشًا تعايرهم بالعجف والهزال) لو انتحرنا (نحرنا) من ظهرنا (إبلنا) فأكلنا من لحمه وحَسَوْنا من مرقه، أصبحنا غدًا حين ندخل على القوم وبنا جمامة (بقية من قوة)..

النبى : لا تفعلوا، ولكن اجمعوا إلىّ من أزوادكم..

«المسلمون يسارعون إلى جمع أزوادهم، حيث بسطوا الأنطاع وأكلوا حتى تركوا.. وحشا كل واحد جرابه، ينتظرون الدخول إلى مكة حيث البيت الحرام..».

* * *

«مكـة، وقـد استقبل القرشيون بشارة مكرز ابن حفص ومن أوفدوه معه - أن رسول الله على الشرط الذى شرطه لهم.. يخلى القرشيون مكة مطمئنين ويخرجون إلى رؤوس الجبال، لا يطيقون - حقدًا وغيظًا - أن ينظروا محمدًا وأصحابه وهم يدخلون مكة ويطوفون بالبيت الحرام..».

«المكيون من عامة أهل مكة يقفون بالأزقة، ويطلون من المنافذ والشرفات.. يشاهدون رسول الله ﷺ وقد أمر بالهدى أمامه حتى حبس بذى طوى، يدخل عليه السلام مكة على راحلته القصواء» وأصحابه محدقون به.. يلبون مع تلبيته، فلما انتهى إلى «ذى طوى» وقف عليه السلام على راحلته والمسلمون حولـه، ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون (جبل بمكة) وهو على القصواء، وابن رواحة آخذ بزمامها يرتجز أشعارًا يفاخر بهـا الكفـار. حتى راجعه عمر بن الخطاب..».

النبى : (لصاحبه ابن رواحة – مترفقًا) يا ابن رواحة..

ابن رواحة : لبيك يا رسول الله..

النبى : قل لا إله إلاّ الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده..

«ابن رواحة يردد والمسلمون من ورائه، ويتابع عليه السلام سيره حتى يستلم الركن فيلبى ويلبى المسلمون معه.. ليبدأ الطواف بالبيت العتيق..».

* * *

«النبى – عليه السلام – وقد استلم الركن بمحجنه مضطبعًا بثوبه (جاعلا وسط الإزار تحت إبطه الأيمن ملقيًا طرفيه على كتفه اليسرى).. يبدأ الطواف بين الصفا والمروة.. يهرول وأصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى – مشى حتى يستلم الركن الأسود حتى هرول ثلاثة أشواط ومشى سائرها.. لا يأمر أصحابه أن يرملوا (يهرولوا) الأشواط كلها للإبقاء عليهم..».

المشركون : (لبعضهم وهم يرقبون من أعالى الجبال) هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟!

آخرون : (متحسرين) هؤلاء أجلد منا..

آخرون : ما يرضون بالمشى، أما إنهم لَينَقزون (يثبون) نقز (وثب) الظبى.

«القرشيون يرقبون من مكامنهم كيف يحيط المسلمون برسول الله يسترونه بأجسامهم من

غلمـان المشركين مخافة أن يؤذيه أحد، لا يفارقهم تعجبهم لهذه المحبات التى تبذل من المسلمين لرسول الله!.. يشتد عليهم الحنق والغيظ والحقد وهم يراقبون الطواف حتى استلم رسول الله الركن بمحجنه (عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه) والمسلمون محدقون به..».

النبى : (لأصحابه عند المروة) هذا المنحر..

بعض المسلمين : (متسائلين) هنا فقط يا رسول الله؟

النبى : وكل فجاج مكة منحر!

«النبى - عليه السلام - ينحر هديه عند المنحر، وأبصار وقلوب المسلمين معلقة به.. يتأسون ويصنعون ما يصنع، وقد شقت تلبيتهم وتكبيراتهم عنان السماء، وتجاوبت أصداؤها فى البيت الحرام وأرجاء مكة.. بينما يدخل الرحمة المهداة إلى البيت العتيق يقيم ليله راكعًا ساجدًا ضارعًا حتى يتنفس الفجر ويدعو بلال بن رباح ليؤذن بالصبح من فوق ظهر الكعبة..».

* * *